ترى هل يعود يوما إلى أرضه ؟

فى عيدهم: دموع الخماسين ..واللاجئين !

مريم روبين

التحرير

يوم الأحد الماضى تصادف يوم العشرين من إبريل . ولكنه بالتقويم العبرى يعتبر الحادى والعشرين لأن اليوم « عندهم » يبدأ بعد غروب الشمس . وقد احتفلت سفارة إسرائيل فى فندق المريديان بالقاهرة بعيد استقلال الدولة الإسرائيلية التى قامت . وليس هذا سرا نذيعه لأول مرة على دماننا نحن العرب . . لا فرق بين مصرى وسورى وفلسطينى وأردنى .

وإذا كان للوجود المصرى الرسمى مكان بارز فى هذا الحفل ، فكان من أجل عيون مصر وتراب مصر . من أجل عيون شباب مصر وأطفال مصر . بل لا أبالغ عندما أقول أيضا إنه من أجل القضية الفلسطينية والشعب الفلسطينى المعذب والمعتقل داخل أرضه والمشرد خارج وطنه .

فالدولة الإسرائيلية ما زالت تحتل ٢٠٪ من سيناء وكل الجولان والضفة الغربية وقطاع غزة . فهذه حقيقة . . والحقيقة الأخرى أننا نعمل للسلام . لانسحاب هذه القوات المحتلة « لقيام دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة » كما قامت إسرائيل التى جمعت شعبها من شتات اليهود فى جميع أنحاء العالم . . من كل لون وجنس . .

ونفس اليوم أيضا كان يوما آخر . فقد هبت على مصر رياح خماسينية تحدث كل عام . فهل كانت رياحا غير عادية . تحمى هل كانت الرمال شديدة الصفرة والحرارة . . شديدة الحرقة والجو خانقا للغاية . هل كان ذلك الجو غير عادى ؟ ! أو أنه شعور خاص أعاد إلى ذاكرتى واحدا من تلك الأيام التى خرج فيها اليهود من مصر عام ١٢٣٠ قبل الميلاد . فالكتب القديمة والتوراة تقول لنا إن مصر فى ذلك الوقت قد أصيبت بأشكال مختلفة من الطاعون والظواهر الجوية غير العادية .

ربما كان ذلك مجرد صدفة فلكية مع صدفة سياسية ! !

وفى نفس اليوم أيضا . . أمام شاشة التليفزيون رأيت العجب العجاب الذى حرك مواجعى وفواجعى . . وأعاد ليصيرى وذاكرتى هذه الوقائع المؤلمة التى طالما أحاول جاهدة نسيانها وتناسيها . عشت مرة أخرى من خلال برنامج عن « وكالة غوث اللاجئين » المأساة الحقيقية التى عايشها أهلى وعشيرتى مع آلاف المشردين من أمثالهم . تحت الخيام فى انتظار كيس الدقيق ليسد رمقهم والملابس القديمة التى لا تكاد تستر عوراتهم . .

ورغم مرارة العلقم التى تسرى فى عروقى . . وما زلت أجترها حتى الآن . . فلا يسعنى إلا أن أشهر هذه الفرصة وأحيى التليفزيون العربى . وأغفر له كل الخطايا فى المسلسلات والبرامج المكررة المملة . . لقد أحسست أن التليفزيون العربى فى هذا البرنامج . . جيش بأكمله قد وضع سلاحه على كتفه واستنفر كل رجاله لإعداد وإخراج هذا البرنامج الذى أعاد إلينا المواجع من خلال المشاهد الحية مشاهد الأرامل واليتامى . . الجياع . . المشردين الذين يعيشون تحت السيول والأمطار داخل خيامهم .

هذا البرنامج التليفزيونى جاء تضامنا مع الموقف العربى الحقيقى . وهو أنه مهما تغيرت النظم وتبدلت النظريات فالوجيعة الفلسطينية قائمة والألم ينتشرى والعقد تتضخم . . بينما قليل من أشقائنا العرب من أخذ موقفا جادا . .

كل ذلك فى جو واحد .

ثلاثة أحداث فى وقت واحد .

حدث استغرق ساعة ونصف ساعة فى فندق المريديان . وحدث آخر وهو الخماسين استغرق يومين أو ثلاثة أيام . . أما الحدث الثالث . الذى يبلغ من العمر ثلاثة وثلاثين عاما . . وربما يزيد . . فرجوى من الله ألا يطيل فى عمر هذا الحدث . . وأن يلتصف عمر المشاكل والخلافات بين العرب ويعود الشعب الفلسطينى قريبا إلى أرضه ليبنى دولته المستقلة . . ومهما حدث . . وما سيحدث . . فلسطين هى القضية .

لك الله يا زياد

أذاعت وكالات الأنباء الأجنبية أن السلطات الأمريكية قررت نقل المواطن الفلسطيني زياد أبو عين إلى أحد المستشفيات التابعة لسجن شيكاغو لإنقاذه بعدما تدهورت صحته لاستمراره في الإضراب عن الطعام حتى الموت.

وكانت الحكومة الأمريكية قد ألقت القبض على زياد تنفيذا لتعليمات الحكومة الإسرائيلية بتهمة اشتراكه بوضع القنبلة التي انفجرت في سوق طبرية في ١٤ مايو الماضي، وأدت إلى مقتل العديد من اليهود وإصابة العشرات أيضا.

وقد استندت إسرائيل في اتهام زياد إلى اعترافات انتزعتها تحت الإرهاب والتعذيب الوحشي. من أحد المتهمين المحتجزين ويدعى جمال بس وبعثت بصورة من هذه الاعترافات التي كتبت بالعبرية، والتي يجهلها جمال تماما. إلى السلطات الأمريكية، كما طلبت منها تسليمها زياد لتقديمه للمحاكمة استنادا إلى معاهدة «تبادل المجرمين» المعقودة بينهما عام ١٩٦٣.

وتؤكد الحقائق الواردة من الأرض المحتلة أن زياد أبو عين كان موجودا في محل والده في مدينة رام الله وقت انفجار القنبلة في سوق طبرية، وأنه غادر رام الله بعد شهرين من وقوع الحادث بتصريح من سلطات الحكم العسكري الإسرائيلي بعدما حصل على تأشيرة دخول من السفارة الأمريكية في القدس المحتلة، لزيارة شقيقته المريضة والمقيمة مع زوجها في شيكاغو. وبعد شهرين من إقامته في شيكاغو فوجئ زياد برجال المخابرات الأمريكية يلقون القبض عليه بعدما أخبروه أنه متهم بوضع القنبلة التي انفجرت في سوق طبرية.

ورغم الأدلة الدامغة التي تقدم بها محامي زياد للسلطات الأمريكية والمدعمة بالوثائق والمستندات الدامغة بأقوال الشاهد جمال بس الذي ينفي في بداية اعترافه الأول ويقر أنه أدلى بهذه الأقوال تحت وطأة التعذيب الوحشي الذي مارسته ضده زبانية إسرائيل طوال الأشهر الماضية مضافا إليها شهادة ١٤ شاهدا يؤكدون جميعهم أن زياد كان في محل والده في رام الله أثناء وقوع الانفجار في طبرية. فإن القاضية الأمريكية رفضت للأسف الشديد السماح لمحامي زياد بتقديم هذه الوثائق والمستندات. كما رفضت أيضا قبول الاعتراف الثاني للشاهد الأوحد جمال بس الذي ينفي فيه اعترافه الأول. كما رفضت قبول شهادة الـ ١٤ شاهدا. وذلك تواطؤا منها مع سلطات الاحتلال الإسرائيلي.

والقضية هنا ليست قضية البحث عن حقيقة دور زياد في هذه العملية الفدائية. وهل اشترك حقيقة في حادث تفجير القنبلة أولا. لكن القضية هي مناقشة الموقف الأمريكي الذي قوبل بالدهشة والاستغراب من الرأي العام الأمريكي والرأي العام العربي أيضا. إذ كيف تسمح وزارة الخارجية الأمريكية لنفسها أن تتخذ مثل هذا الموقف المريب بحجة أن التهمة «إجرامية» رغم أن القضية سياسية من الدرجة الأولى.

الرئيس السادات يصافح سفير إسرائيل والسيدة حرمه ود. يوسف هداس الوزير المفوض في الاحتفال بعيد الاستقلال بفندق مريديان بالقاهرة.

والدوافع سياسية. والأهداف سياسية. ومعاهدة تبادل المجرمين الأمريكية الإسرائيلية لا تجيز تبادل المجرمين لاتهامات سياسية. بينما نجد في نفس الوقت هناك سابقة قضائية تتشابه تماما مع قضية زياد أبو عين. حيث رفضت محكمة فدرالية أمريكية في فرانسيسكو في العام الماضي تسليم إيرلندي لبريطانيا بتهمة أنه عضو في جيش التحرير الإيرلندي، وأنه فجر قنبلة في بلفاست عام ١٩٧٤ واستندت المحكمة في قرارها إلى أن التهمة سياسية لا تنطبق عليها معاهدة تبادل المجرمين البريطانية الأمريكية.

والسؤال هنا: لماذا اتخذت الولايات المتحدة الأمريكية هذا الموقف الشاذ.. ضد زياد؟ هل لأن زياد عربي فلسطيني أو لأن إسرائيل هي التي أمرت السلطات الأمريكية بتسليمه لها؟ وهل لو كان زياد سويديا أو كوبيا أو فرنسيا أو حتى إيرانيا وطلبت حكومته تسليمه لأي سبب من الأسباب لحاكمته.

ترى هل يحكم القضاة الأمريكيون بإعادته إلى بلاده..؟؟

الوقائع التي نعيشها تقول.. «لا»...

لقد أطيح بزياد لأنه فلسطيني. لذلك يمكن القضاء عليه. من أجل سواد عيون إسرائيل ولتبيل رضاها الذي تتمناه وتحتاج إليه الآن بالذات الإدارة الأمريكية. فالموقف الأمريكي يعني إذن الكثير. يعني أن إسرائيل بإمكانها أن تطلب من الولايات المتحدة الأمريكية تسليمها أي فلسطيني نظرا لقدماء أراضيها استنادا لأية وثائق أو اعترافات مزورة..

والآن أدركت فقط لماذا لم يطأ ياسر عرفات الأرض الأمريكية عندما دعي لإلقاء بيان «المنظمة» في اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة. الآن فقط أدركت لماذا اشترط أن تكون حدود تنقلاته في ولاية نيويورك في الحدود الدولية التي تتمتع بها هذه المنظمة العالمية حتى لا يتعرض.. لما يتعرض له الآن المسكين زياد.. لك الله يا زياد والرحمة على الحرية والعدالة اللتين ولدتا ماتتا «قتال الحرية» بالأيدي الصهيونية.

الجليد يذوب بين عدن ومسقط!

هل يمكن إذابة الجليد بين عدن ومسقط ويعود الوفاق بينهما. على غرار الوفاق السعودي العدني. رغم الدماء التي تسيل على الحدود العدنية العمانية بسبب الاعتداءات التي تنطلق من عدن عن طريق رجال جبهة تحرير ظفار الذين تحتضنهم عدن سياسيا وعسكريا وماديا؟!

تحت شعار «تحقيق الاستقرار السياسي في المنطقة وتدعيم الأمن في الجزيرة العربية ومنطقة الخليج والابتعاد عن الصراعات الدولية أو نقل هذه الصراعات بصورة أو بأخرى إلى المنطقة». قامت الكويت بإعداد أول اجتماع للمصالحة بين عدن وسلطنة عمان على مستوى وزراء الخارجية. وهذا الغرض تم في الاسبوع الماضي لقاء في مطار الكويت استغرق أربع ساعات بين الشيخ صباح الأحمد وزير الخارجية وسالم صالح محمد وزير خارجية عدن قبل أن يطير إلى طرابلس لحضور اجتماعات دول الرفض، وذلك لبحث الخطوات الكفيلة لإنجاح «مؤتمر المصالحة».

ولم تكن المحاولة الكويتية هي الأولى لتصفية المشاكل المعلقة بين عدن ومسقط، بل حاولت السعودية واليمن والكويت قبل ذلك عدة مرات، ومن قبل حاولت مصر للإصلاح بينهما، وأخيرا احرزت صنعاء خطوة كبيرة في تحقيق أول لقاء عدني عماني تم في تونس على هامش اجتماع مؤتمر القمة العربي الأخير بين الرفيق العدني عبد الفتاح اسماعيل والسيد فهد بن ليعود نائب رئيس الوزراء ووزير الدفاع في عمان حيث طلب الرفيق العدني من الوزير العماني إعادة العلاقات بين البلدين. وقد أبدى الرئيس اليمني علي عبد الله صالح الذي شاهد هذا اللقاء ترحيب بلاده واستعداده لاستضافة مؤتمر المصالحة بين البلدين. لكن الرفيق العدني رفض استضافة صنعاء وفضل الكويت عليها حيث بعث رسميا لأميرها الشيخ جابر الأحمد يطلب منه أن تقوم بلاده بدور الوسيط بين السلطنة وعدن، وهنا كان التحرك الكويتي الذي أسفر عن هذا اللقاء الذي سيتم على مستوى وزراء الخارجية.

والسؤال هنا.. على أي أساس سيتم هذا اللقاء رغم أن الكويت أعلنت أنه سيتم بدون «شروط مسبقة»؟ وهل وقع تحول لوجهة النظر العمانية بالنسبة للوجود السوفيتي في المنطقة؟..

وهل السلطان قابوس اكتفى بوجهة النظر السعودية التي تؤكد «مراعاة حسن الجوار وعدم التدخل في الشئون الداخلية للدول الأخرى واحترام حرية اختيار الشعوب والدول للأنظمة التي تتوافق مع طبيعتها وترى فيها تحقيقا لمصالحها»؟!

حتى وإن كان السلطان قابوس مقتنعا تمام الاقتناع بالمنهاج السعودي، إلا أنه أكد أيضا أكثر من مرة علانية وبكل شجاعة، أن الخطر الذي يهدد السلطنة ويهدد منطقة الخليج أيضا سببه الأوضاع الحالية في عدن، وأن المعاهدة السوفيتية العدنية، والمعاهدة العدنية الألبانية والمعاهدة التشيكية العدنية.. جعلت من عدن قاعدة برية وبحرية وجوية للقوات السوفيتية والكوبية، تهدد أمن عمان ودول الخليج كلها. ولذلك عرض السلطان قابوس على قادة دول الخليج الاتفاق على التنسيق الأمني وتبادل المعلومات تمهيدا لتوحيد القوات العسكرية وتنفيذ المشروع الأمني الخليجي.. لمواجهة الخطر السوفيتي التي تحتاج المنطقة..

ولذلك يمكن القول بأن وجود القوات السوفيتية في عدن بشكل علة كبيرة أمام عودة العلاقات الطبيعية بين البلدين، كذلك ليس مستغرب عندما تسمع سلطنة عمان تطالب بانسحاب القوات السوفيتية من عدن شرطا لعودة العلاقات أو على الأقل تتعهد عدن أمام أصدقائها الكويتيين بخروج القوات السوفيتية خلال فترة محددة من عدن. وهنا كان سر الحملة الإعلامية المنظمة التي بدأت تخرج الآن من عدن على جميع المستويات والتي تنفي قطعا وجود قواعد حربية سوفيتية أو كوبية أو أية قوات أجنبية في اليمن الجنوبية.

وما تصريحات الرفيق العدني عبد الفتاح إسماعيل حول المعاهدة السوفيتية العدنية بأنها ليست موجهة ضد طرف ثالث ولا ينوي أن يتخذها مصدرا للتهديد أو الاعتداء على أي بلد أو نظام إلا لتهدئة وطمأنة قادة الخليج خاصة السعودية وسلطنة عمان. وعندما لوحت عدن بأن يتركها «الأخوة وشأنها والا يعتدوا على سيادتها واستقلالها» أعلنت سلطنة عمان أيضا أنها مستعدة لتحسين علاقاتها المتدهورة مع عدن إذا ما التزمت باحترام سيادة كل دولة على أراضيها وعدم التدخل في الشئون الداخلية لعمان وإيقاف الحملات الإعلامية، وإيقاف دعمها للخارجين على النظام من المتمردين».

فهل ستنجيب عدن للمطالب العمانية؟!

وهل ستكف عدن حقيقة عن مساعدة الجبهة الشعبية «لتحرير عمان»، حتى يمكن أن يذوب الجليد.. ويعود الوفاق